



كثُرت الخطوات التي قام بها مسؤولون في بعض الأنظمة العربية حيال نظام الأسد، سواء من خلال لقاءات نظرائهم في هذا النظام، على هامش لقاءات دولية وإقليمية، أم من خلال زيارات وفود غير رسمية إلى دمشق، وسوى ذلك.

ولعل أبرز الخطوات، التي تسارعت في الأيام القليلة الماضية، الزيارة التي قام بها الرئيس السوداني عمر البشرين، المطلوب من محكمة الجنائيات الدولية، إلى دمشق، والمحاصراليوم من ثورة شعب بلاده. وبعدها أعادت دولة الإمارات فتح سفارتها في دمشق، تلتها زيارة علنية قام بها رئيس جهاز المخابرات العامة علي مملوك إلى القاهرة، وهو الذي أصدر القضاء الفرنسي مذكرة توقيف دولية ضده، على خلفية ارتکابه جرائم تعذيب وجرائم ضد الإنسانية، ثم جرى أخيرا الكشف عن زيارة مرتبة للرئيس الموريتاني محمد ولد عبد العزيز خلال شهر يناير/ كانون الثاني الجاري .

وتدخل هذه الخطوات في نطاق عملية ممنهجة، تقودها بعض الأنظمة العربية، لإعادة تطبيع العلاقات العربية مع نظام الأسد، على الرغم من كل المجازر والانتهاكات التي ارتكبها هذا النظام بحق غالبية السوريين، وفي وقت يقود فيه النظام البوتيني (نسبة إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين) حملة إعادة تأهيل هذا النظام دولياً وعربياً، بعد أن خاضت قواته إلى جانب قوات وميليشيات نظام الملالي، القابع في طهران، حرباً ضد الفصائل السورية المعارضة، وضد الحاضنة الشعبية للثورة السورية، وأفضت إلى السيطرة على أغلب المناطق التي كانت تخضع للمعارضة السورية، وذلك من أجل تثبيت نظام الأسد داخلياً، وإبقاءه جاثماً على صدور السوريين سنوات أخرى طويلة وثقيلة .

وإن كانت محاولات تأهيل النظام قد فشلت دولياً، في ظل إصرار دولٍ غريبة على ضرورة القيام بخطوات جادة في اتجاه الحل السياسي، فإنها تأخذ طريقها إلى التحقق عربياً، من خلال اتخاذ خطوات تفضي إلى إعادة نظام الأسد إلى الحضن

العربي، ممثلاً بجامعة الدول العربية، المنظمة المشلولة والهزيلة منذ لحظة ولادتها، بما يعني إعادة مقعده المحمد في الجامعة، ودعوته إلى حضور القمة العربية المقبولة المزمع عقدها في تونس نهاية مارس/ آذار المقبل، وذراعه ذلك هي منافسة نفوذ كل من نظام الملالي الإيراني والنفوذ التركي في سوريا .

وينسى أصحاب دعوات إعادة الأسد إلى الحضن العربي أنه هو من أدار ظهره لجامعة الدول العربية ومقرراتها، وضرب مبادرتها عرض الحائط والتي كانت تطالبه بوقف كل أعمال العنف وحماية المدنيين، والإفراج عن المعتقلين، وإخلاء المدن والأحياء السكنية من جميع المظاهر المسلحة، وفتح المجال أمام منظمات جامعة الدول العربية المعنية ووسائل الإعلام العربية والدولية للتنقل بحرية في جميع أنحاء سوريا. كما لم يستجب النظام لكل الدعوات والمناشدات الدولية بوقف قتل السوريين، وبالتالي لم يغير النظام ممارساته الدموية الإجرامية طوال السنوات الثماني الماضية، بل استقدم الميليشيات الإيرانية الطائفية، وباع البلد لنظامي بوتين وإيران اللذين باتااليوم قوتىاحتلال سوريا .

وترتفع الأصوات المطالبة بعودة نظام الأسد إلى الحضن العربي في كل من مصر والبحرين ولبنان وال伊拉克 والجزائر والأردن وسواها، ضاربة عرض الحائط مخرجات القمة العربية الرابعة والعشرين في الدوحة التي أقرت حق السوريين في الدفاع عن النفس في مواجهة المجازر اليومية لنظام الأسد، وأعطت مقد سورية للمعارضة، في خطوة أعطت الانطباع بتكرير القطيعة العربية مع هذا النظام، وكانت الأهم من تعليق عضوية النظام في 12 أكتوبر/ تشرين الثاني 2011، لكن ذلك لم يحدث تماماً، إذ على الرغم من مقرراتها، لم تقف معظم الأنظمة العربية مع ثورة الشعب، بسبب طبيعة تكوين هذه الأنظمة وسياساتها وممارساتها، حيث وجدت نفسها مضطورة في بداية الثورة، وتحت ضغط المجتمع الدولي، إلى تجميد عضوية نظام الأسد في جامعة الدول العربية، فاتخذ بعضها خطواتٍ شكلاً ضد نظام الأسد، مثل سحب السفراء وإغلاق السفارات، لكنها لم تُحدث قطيعةً معه، بل كانت تتحين الفرص كي توصل ما انقطع معه، إلى أن وصل بها الحال إلى دعوته إلى العودة إلى الحضن العربي البائس .

ولا ينسى السوريون الدور السلبي والمخرب الذي لعبته بعض الأنظمة العربية في الثورة، وخصوصاً في الجانب العسكري، حين استغلت حاجة الفصائل العسكرية المعارضة للدعم، كي توجهها وفق أجنداتها وصراعاتها، وراحت أجهزة استخباراتها تلعب دورها في توجيه معارك فصائل المعارضة السورية وإدارتها، بل وأوّلتها كي تسلم مناطق سيطرتها للروس والنظام .

وإن كانت الذريعة الواهية لأصحاب دعوات إعادة نظام الأسد إلى الحضن العربي تلتقطي خلف مقوله إن المقاطعة العربية له أفضحت إلى تغافل نظام الملالي الإيراني وتركيا في سوريا، كي يبررها إعادة العلاقات العربية معه، بغية تخلصه من التفويذين أو الحدّ منها، فإن هذه ذريعة زائفة المعنى والمعنى، فأصحاب هذه الدعوات لم يفعلوا شيئاً في الحدّ من سيطرة نظام الملالي الإيراني الفعلية والعلنية على كل من لبنان وال伊拉克، حيث يتفاخر أمين عام مليشيات حزب الله اللبناني، حسن نصر الله، بتبعيته لولي نظام الملالي، وينعى لبنان حتى من تشكيل حكومة لا يرضى عنها هذا النظام ونظام الأسد الإجرامي، وكذلك الأمر في العراق الذي تسيطر عليه قوى شيعية تخدم أجندته نظام إيران، فضلاً عن وجود عسكري لهذا النظام في العراق، تحت مسمى مستشارين عسكريين وسوى ذلك. كما أن تغافله ونفوذه في سوريا كان تحت لافته الدفاع عن نظام الأسد، وهذا ليس جديداً، بل يعود إلى أيام حكم الطاغية الأسد الأب، وبالتالي أي عودة لنظام الأسد الإجرامي إلى الحضن العربي؟ خصوصاً أنه لم يتغير بتاتاً، بل تغول كثيراً في دماء السوريين طوال السنوات الثماني الأخيرة.

لذلك يتجسد الأمر في أن هناك من الأنظمة العربية من يريد التعبير علينا عن وقوفه ضد إرادة غالبية الشعب السوري، وضد

دماء مئات آلاف السوريين، ومكافأة النظام على تشريد أكثر من نصف سكان سوريا، وعلى جرائم الحرب وجرائم التعذيب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبها ضد السوريين.

المصادر:

العربي الجديد